في المباهلة فان كثرة الافاضل ادخل في الاستجابة كما علم من سنة النبي صلعم
ايضا فترك دعوة من ليساويهم في الفضل عند الله تعالى من النبي صلى الله عليه وسلم
اخلال لشدة الاهتمام في امر الدين والنبي منزه عنه ومما يدل على استعانته صلعم
بهم في المباهلة قوله تع ثم نبتهل بصيغة الجمع وما ذكره القاضي البيضاوي في تفسيره
وغيره في غيره من ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد غدا محتضنا
بالحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا
دعوت فامنوا وكذا ما قال اسقف النصارى وهو المسمى بابي الحارثة حين
تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجثى على ركبته وانه جثا الانبياء للمباهلة
يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه
لازاله فلا تبتهلوا الى آخر ما رواه القاضي وغيره ويؤيد دلالة الآية على افضلية
علي عليه السلام ما في كتاب الصواعق المحرقة لابن الحجر رواية عن الدارقطني
ان عليا ع يوم الشورى احتج على اهلها فقال لهم انشدكم الله هل فيكم احد
اقرب الى رسول الله صلعم في الرحم مني ومن جعله نفسه وابناءه ابناءه ونساءه نساءه
غيري تعالوا اللهم لا الحديث وايضا نقول ليس المراد من النفسية حقيقة الاتحاد
بل المراد المساوات فيما يمكن المساواة فيه من الفضايل والكمالات لانه اقرب
المعاني المجازية الى المعنى الحقيقي فيحمل عليها عند تعذر الحقيقة على ما هو قاعدة
الاصول ولا شك ان الرسول صلى الله عليه وسلم افضل الناس اتفاقا
ومساوي الافضل افضل ويمكن ان يقال ايضا ان مراد المص بالمساواة
المساواة في الصفات النفسية وحينئذ نقول ان اراد الناصب بكون نبينا
صلى الله عليه وسلم نبيا مرسلا خاتم النبوة بعثه على الوجه المذكور فظاهر ان
هذا ليس من صفات النفس كما صرح به الغزالي في المنخول حيث قال ليست
الاحكام للافعال صفات ذاتية وانما معناها ارتباط خطاب الشارع بها امرا
ونهيا حثا وزجرا فالمحرم هو المقول فيه لا تفعلوه والواجب هو المقول فيه
لا تتركوه وهو كالنبوة ليست ذاتية نفسية للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنها
عبارة عن اختصاص بخص بخطاب التبليغ انتهى وان اراد به الصفة الكاملة النفسية
التي تنبعث عنه البعث على الوجه المذكور ويقتضي المساوات في الدرجة فلا يمتنع
ان يكون تلك الصفة وتلك الدرجة حاصلة لامير المؤمنين عليه السلم غاية الامر
ان خصوصية خاتمية نبينا صلعم منعت عن بعثه على الوجه المخصوص وعن
اطلاق الاسم عليه شرعا كما قيل بمثله في منع اطلاق اسم الجوهر بمعنى الموجود
لا في موضوع على الله سبحانه وليس هذا ابعد مما يرويه اصحاب هذا الناصب
التقرب وشان ابي بكر من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا ابو بكر كفرسي رهان

وفي شان عمر انه قال صلعم لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب رواه في المشكوة
عن الترمذي واما ما ذكره الناصب من ان هذه الآية ليست دالة على النص بامامته
فمردود بان المصنف لم يحصر مطالب هذا الباب في النص على خلافة علي عليه السلام
بل المدعى كما صرح به سابقا في عنوان ما نحن فيه من البحث الرابع اقامة الدليل
على الامامة اعم من ان يكون ذلك على نفسها او شرايطها ولوازمها من العصمة
والافضلية واستجماع الفضايل على وجه لا يلحقه غيره فيه وقد علم ذلك صاحب
المواقف حيث قال والمهم اي للشيعة في بيان افضلية علي مسلكان الاول
ما يدل على كونه افضل اجمالا وهو وجوه الاول آية المباهلة الثاني خبر الطير المسلك
الثاني ما يدل على كونه افضل تفصيلا وهو ان فضيلة المرء على غيره انما يكون بماله من
الكمالات وقد اجتمع في علي منها ما تفرق في الصحابة وهي امور الاول العلم وهي اعلم
الصحابة لانه كان اعلم نعم كابر صاحب المواقف بعد ذلك وقال في الجواب
عن الكل لكن بانه يدل على الفضيلة واما الافضلية فلا كيف ومرجعها الى كثرة الثواب
والكرامة عند الله وذلك يعود الى الاكتساب للطاعات والاخلاص فيها
وما يعود الى نصرة الاسلام وما ثرهم في تقوية الدين ومن المعلوم في كتب
السير ان ابا بكر لما اسلم اشتغل بالدعوة الى الله فاسلم على يديه عثمان بن عفان
وطلحة بن عبيد الله والزبير وسعد بن وقاص وعثمان بن مظعون فتقوى بهم
الاسلام وكان دايما في منازعة الكفار واعلاء دين الله في حيات النبي وبعد
وفاته واعلم ان مسئلة الافضلية لا مطمع فيها في الجزم واليقين اذ لا دلالة للعقل
بطريق الاستقلال على الافضلية بمعنى الكثرة الثواب بل مستندها النقل و
ليست هذه المسئلة مسئلة يتعلق بها عمل فيكتفى فيها بالظن الذي هو كاف في
الاحكام العملية بل هي مسئلة علمية يطلب فيها اليقين والنصوص المذكورة
بعد تعارضها لا تفيد القطع على ما لا يخفى على منصف لانها باسرها اما احاد او
ظنية الدلالة مع كونها متعارضة ايضا وليس الاختصاص بكثرة الثواب
موجبا لزيادة قطعا بل ظنا لان الثواب تفضل من الله كما عرفته فيما سلف فله
ان لا يثيب المطيع ويثيب غيره وثبوت الامامة وان كان قطعيا لا يفيد
القطع بالافضلية بل غاية الظن كيف ولا قطع بان امامة المفضول لا يصح مع
وجود الفاضل لكنا وجدنا السلف قالوا بان الافضل ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم
علي وحسن ظننا بهم يقتضي بانهم لو لم يعرفوا ذلك لما اطبقوا عليه فوجب علينا
اتباعهم في ذلك القول وتفويض ما هو الحق الى الله تع وقال الآمدي وقد يراد
بالتفضيل اختصاص احد الشخصين عن الآخر اما باصل فضيلة لا وجود لها في الآخر
كالعالم والجاهل واما بزيادة فيها ككونه اعلم مثلا وذلك ايضا غير مقطوع فيما بين

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)